فاسكر القوم دور الكاس بينهم • لكن سكري نشا من روية الساقي •
ومنها سفر القلب في طلب المحبوب • ولهج اللسان بذكره على الدوام اما سفر
القلب في طلبه فهو الشوق الى لقايه واما لهج اللسان بذكره فلا ريب ان من
احب شيا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة
والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو اكل طبع سليم
عن الميل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسته • او يكون
حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه
فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم
في الحلية وابو الشيخ وغيرهما • واذا كان الانسان يحب من منحه
في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة
او مضرة لا تدوم • فما بالك من منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه
من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول • واذا كان المرء يحب غيره
على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم
والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم • المانح لنا جوامع
المكارم والفضل العميم • فقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور
الايمان • وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان
فهو السبب لبقاء مهجنا البقاء الابدي في النعيم السرمدي • فاي
احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا • فلا منة بعد الله
وحياته بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا • فكيف
ننهض ببعض شكره او نقوم من واجب حقه بمعشار عشره • فقد
منحنا الله به منح الدنيا والاخرة • واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة
فاستحق ان يكون حظه من محبتنا له اوفى وازكى من محبتنا لانفسنا
واولادنا • واهلينا واموالنا والناس اجمعين • بل لو كان في كل
منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه
لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة انه
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
والده وولده رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد
له والد من غير عكس وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد
وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب

عن

عن انس والناس اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل
من والده وولده وذكر الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال
الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي
فيه تلميح الى قضية النفس الامارة والمطمينة فان من رجح جانب المطمينة
كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه
بالعكس وفي كلام القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة
على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب المفهم بان ذلك ليس مرادا
هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان
اعظام شي مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك
الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري في
الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال
للنبي صلى الله عليه وسلم لانت يا رسول الله احب الي من كل شي الا نفسي
التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فهذه المحبة
ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك
قطعا وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى اكون
احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في
حبي حتى توثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما توقف عمر في
اول مرة واستثناوه نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار
بتوسط الاسباب وانما اراد عليه السلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى
قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر اولا كان
بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم
احب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والاخرة
فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الان يا عمر
اي الان عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا صلى الله عليه
وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة انفسنا
واولادنا ووالدينا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها
على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها

Copyright King Saud University